اللغة البصرية في أفق السينما

الفوتوغرافيا.. الكاميرا المظلمة

إعداد: حسن حداد

ترتبط أصول الكاميرا الفوتوغرافية ارتباطا واضحاً بأصول الفانوس السحري. ففي الفانوس السحري يضاء جسم داخل صندوق ويعرض بانكسار الضوء على شاشة في غرفة مظلمة (خارج) الصندوق. وفي الكاميرا المظلمة، كما وضعت لأول مرة، يضاء منظر إضاءة قوية ويعرض بانكسار الضوء على شاشة (داخل) صندوق مظلم أو غرفة مظلمة. وقد استفاد الفنانون كثيرا، خلال القرن الثامن وكان نييبس قد اشترك مع داجير عشر وأوائل التاسع عشر، من الكاميرا المظلمة باستخدامها لعرض منظر ما مصغرا على شاشة ليقوموا هم بتحديد خطوطه الخارجية بقلم الرصاص.

وكان من الطبيعي أن يبحثوا عن وسيلة لتثبيت الصورة المعروضة ميكانيكيا أو كيميائيا، للتخلص من عناء تحديد خطوطها يدويا. وانشغل عدد من الكيميائيين بهذه المشكلة، من بينهم الإنجليزي توماس ويدجوود، ولكن جوزيف نييبس (1765 – 1833) كان على مايبدو أول من نجح في تثبيت صورة على سطح محسس، في العام 1826.

وكان نييبس قد اشترك مع داجير (صاحب الديوراما)، واستمرت التجارب خلال ثلاثينات القرن التاسع عشر وحتى بعد وفاة نييبس في العام 1833. ولكن إتقان التصوير الفوتوغرافي، وكما هي الحال مع السينما ذاتها، كان أقرب إلى سباق لحل مشكلات معروفة منه إلى الاختراع. وفي العام 1839 اشترت الحكومة الفرنسية طريقة داجير للتصوير الفوتوغرافي، وذلك بعد أسابيع قليلة من إعلان ''هنري فوكس تالبوت'' عن طريقة ''الكالوتايب Calo) .(Type ومع مرور السنين خلال القرن التاسع عشر، تم دمج وتطوير مزايا هاتين الطريقتين لزيادة كفاءة وسرعة وحساسية التصوير الفوتوغرافي.(Phasmatrope)

في وقت مبكر يرجع إلى العام 1849، كان ''بلاتو'' قد اقترح استخدام طريقة داجير للتصوير مع جهاز فيناكيستيسكوب (Phenakistiscope)، غير أنّه لم ينجح أي من اختراعات وابتكارات ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر في التوصل إلى حلّ لمشكلة كيفية خلق سلسلة صور فوتوغرافية متتابعة بسرعة تسمح بعرضها كصورة كلية متحركة لحدث ما. فجهاز مثل الفازماتروب (Phasmatrope) الذي ابتكره ''هيل'' وعرض في فيلادلفيا عام 1870 كان يعتمد على صور فوتوغرافية، تم الحصول عليها بطريقة مضنية حيث يصور الحدث مجزأ إلى مراحل يمثلها الموديل مرحلة مرحلة. ثم جاء حل المشكلة في النهاية على يد عدد من العلماء والمصورين ممن لم يكن لهم أدنى اهتمام بتخليق الصور بتتابع يعطي إحساسا بالحركة، بل كانوا ببساطة يبحثون عن وسيلة لتحليل الحركة.

كان إدوارد مايبريدج (1830 – 1904) إنجليزيا هاجر إلى الولايات المتحدة في خمسينات القرن، وبدّل هناك اسمه الأصلي الأقرب إلى المألوف، ''إدوارد جيمس ماجردج''، واستقر به المقام مصورا فوتوغوافيا. وفي العام 1873 طلب منه حاكم كاليفورنيا عمل بعض صور فوتوغرافية لحظية لواحد من أحب خيول السباق لديه. ورغم ما كان يعانيه ما يبجريدج من اضطراب في العمل، نظرا لاتهامه وقتها بقتل عشيق زوجته، فإنه واصل مهمته بسلسلة طويلة من التجارب. حتى توصل قبيل العام 1877 إلى حل، عن طريق وضع مجموعة مترابطة من الكاميرات على طول مسار الحصان بحيث يتم تحرير غوالقها واحدا بعد الآخر مع مرور الحصان أمام كل كاميرا ووطئه حبلا على الأرض متصلا بالغالق. كان هدف مايبريدج المبدئي هو الحصول على صور لحظية منفردة، أما كونها متتابعة سريعة فقد جاء عرضاً. وخلال السنوات القليلة التي تلت قام مايبريدج بإنتاج ونشر سلاسل صور فوتوغرافية عديدة لجميع أشكال الحركة لدى الحيوان والإنسان. ثم قام في بداية الثمانينات بخطوة أخرى لإعادة تخليق تحليله للحركة، وذلك بعرض المقاطع الحركية القصيرة التي سجلها مستخدماً فيناكيستيسكوب عارض أسماه الزوأوبركسيسكوب .(Zoopraxiscope)

ومن خلال رحلاته الى أوروبا، حيث كان يستقبل استقبال النجوم والمشاهير، التقى مايبريدج بإيتيين ماري (1830 - 1904(الذي كان على اتصال به من خلال الرسائل لسنوات سابقة. وكان إيتيين، بصفته باحثاً فسيولوجياً، مهتماً بالتسجيل الفوتوغرافي للكثير من أنماط السلوك الحيواني، وكان ثمة مشاكل بعينها لا يجد لها حلاً. فهو، على سبيل المثال، كي يسجل حركات طائر بيانياً أثناء الطيران كان قد ابتكر جهازاً دقيقاً نجح بالفعل في تسجيل حركات الطائر، ولكنه في الوقت نفسه كان يعيقه ويحد من حركته الطبيعية. وطرح ماري المشكلة على مايبريدج، غير أن الصور الفوتوغرافية للطيور أثناء الطيران التي أحضرها مايبريدج معه الى باريس في العام 1881 لم تكن مرضية أبداً لما يريده ماري. إلا أن ماري، عقب ذلك مباشرة، استطاع الاستفادة من تجربة للعالم الفلكي جانسن الذي كان قد ابتكر ''المسدس الفوتوغرافي'' في العام 1874, وهي كاميرا كان الغرض منها تسجيل مسار كوكب الزهرة بأخذ سلسلة لقطات متتابعة على لوح واحد، حيث يدور اللوح لتنكشف مساحة صغيرة محددة من سطحه المحسس مع كلّ مرة ينفتح فيها الغالق. وهكذا استحدث ماري، ما بين 1881و1882, ووفقا لمبادئ مشابهة ''الغدارة الفوتوغرافية'' .(Fusiltographique)

وكان هذا الجهاز قادراً على التقاط اثنتي عشرة صورة لحظية متتابعة في الثانية الواحدة. ثم راح ماري بعد هذا يتابع لسنوات خطاً بحثياً آخر، مسجلاً أجساماً متحركة بتركيب لقطات عدة فوق بعضها على لوح واحد ثابت. وبظهور الفيلم الشريط الذي دفعت به إلى الأسواق شركة إيستمان كوراك في العام 1888, تيسر لماري أن يبتكر جهاز الكرونو فوتوغراف Chrono) (Photographe، وهو كاميرا بمقدورها التقاط سلسلة طويلة من الصور المتعاقبة على شريط فيم متصل. وفي العام 1892 اقترح ماري عمل جهاز عرض لإعادة تخليق الحركات التي حللها بالطريقة السابقة. غير أنه قبيل هذا الوقت كان هنالك عدد كبير من المخترعين، أغنياء وفقراء وعلماء وهواة، حالمين وواقعيين، قد تنبأ بإمكان وجود كاميرا يمكنها التقاط صور تفصيلية تحليلية وجهاز عرض يعيد تشكيل الحركة المصورة على الشاشة. من بين هؤلاء كان هناك مساعد ماري نفسه ''جورج ديميني''، وفي إنجلترا ''وليم جرين'' والفرنسي المولد ''لويس ليبرنس'' الذي كان قد أوشك على حل المشكلات الجوهرية لهذا الموضوع حين اختفى على نحو غامض في العام 1890.

بروفايل

ميريل ستريب.. سيدة الأوسكار الأولى

ميريل ستريب ، فنانة من طراز فريد، متوحدة، تكره الشهرة، تعيش في عزلة، إلا حين تكون أمام الكاميرا. واحدة من أعظم نجوم هوليوود على الإطلاق . تملك جميع مواصفات الفنان الناجح. تنتقي أدوارها بعناية وحذر، تحضر للدور بجدية و حرص ، تؤدي أدوارها بروعة وإتقان.

ولدت ميريل باسم ماري لويس ستريب في مدينة سوميت في ولاية نيو جيرسي في العام 1949. والدها هاري كان صيدلياً ،أما أمها فكانت فنانة تشكيلية .

تخرجت ميريل من الجامعة في العام 1971 .وفي بداياتها ، وكانت مهتمة في بداياتها الفنية بالأوبرا. وتلقت العديد من الدروس والتدريبات فيه. ولكنها في النهاية وجدت نفسها تميل إلى التمثيل ، فالتحقت بمدرسة Yale للدراما.

حصلت ميريل على أول دور لها في فيلم سينمائي وكان ذلك فيلم (جوليا) في العام 1977. وأبدعت في دورها ثيرا ، ولفتت الأنظار إليها.و في العام التالي مباشرة أسند اليها دور جيد في فيلم (صائد الغزلان) الذي قام ببطولته الممثل روبرت دي نيرو ، فرشحت للأوسكار عن هذا الدور . و إشترك معها في فيلم دير هنتر الممثل John Cazale الذي مثل دور فريدو في فيلم العراب الأول والثاني. وكان جون عشيق وخطيب ميريل ستريب ، ولكنه توفي بسبب إصابته بسرطان العظام في وقت متأخر من نفس العام الذي أنتج فيه فيلم (صائد الغزلان).

في العام 1979 مثلت ميريل ستريب الفيلم الشهير(كرمر ضد كرامر) الذي تمثل فيه دور زوجه وأم تتنازع مع زوجها على حضانة ابنهما ففازت عن دورها في هذا الفيلم بجائزة أوسكار لأحسن ممثلة.

في الثمانينيات حصلت ميريل ستريب على 6 ترشيحات للأوسكار وهو ما يعادل نصف عدد ترشيحاتها الكلي حتى الآن. وهذه الترشيحات الست كانت عن الأفلام التالية: زوجة (الفتنانت الفرنسي) عام81 و(اختيار صوفيا)عام82 و (سيلك وود) عام83 و (خارج أفريقيا) عام 85 و (آيرن ود) عام87 و (البكاء في الظلام) عام 1988 . وفازت بالجائزة عن فيلم (اختيار صوفيا).

في مرحلة التسعينيات قدمت فيلمها الرائع (جسور مديسون) بجانب الممثل كلينت ايستود الذي أخرج الفيلم. وقد رشحت للأوسكار للمرة العاشرة.

ثم قدمت في عام 1996 فيلم (غرفة مارفن) ثم تلقت الترشيح الحادي عشر عن فيلم (شيئ واحد حقيقي) عام 1998 عندما قدمت دور أم مريضة بالسرطان. وبعد ذلك رشحت للأوسكار للمرة الثانية عشرة عن فيلم (موسيقى القلب) عام 1999 .

في عام 2002 ترشحت ميريل ستريب للأوسكار الثالث عشر وذلك عن فيلم Adaptation و بذلك تصبح أكثر من رشح لجائزة الأوسكار من الممثلين أو الممثلات في تاريخ السينما.

القاموس السينمائي

ستيديكام

كاميرا محمولة يتم ربطها إلى خصر المصور و يتحرك بها يرتفع أو ينخفض بحرية دون أن ينشأ عن ذلك أي اهتزاز في اللقطة التي يتم تصويرها. و بذلك فإن هذه الكاميرا قللت كثيرا من نفقات إنتاج الأفلام التي استطاعت الاستغناء إلى حد كبير عن القضبان أو الرافعة بالإضافة إلى إمكانية التصوير في مواقع التصوير الحقيقية أو الحركة بسهولة داخل الديكورات المعقدة. الحركة الرأسية أو العمودية :حركة الكاميرا على محور أفقي تستطيع من خلاله أن ترتفع أو تنخفض بزاوية رؤيتها دون حركة جسم الكاميرا نفسها من مكانه.

تغيير البعد البؤري للعدسة :

وسيلة للاقتراب أو الابتعاد عن الأشياء التي يتم تصويرها دون تحريك الكاميرا ذاتها أو رأسها و ذلك باستخدام عدسة ذات بؤرة ضحلة (أي أنها لا تقوم إلا برؤية أشياء على بعد متقارب). و بضبط البؤرة على مستوى معين نرى مستوى من الصورة بشكل واضح و تختفي المستويات الأخرى و بتغيير البعد البؤري يختفي المستوى الذي كان ظاهرا ليظهر مستوى أقرب أو أبعد طبقا للضبط الجديد للبؤرة. الواقعية: أكثر المصطلحات الفنية مراوغة لكننا نقصد بها هنا على عكس التعبيرية الموقف الجمالي للفنان الذي يعطي اهتمامه الأول لإبراز حقيقة مادة الموضوع الذي يقوم بمعالجته لذا فإن الفنان يحاول جاهدا أن يقلل من التقنيات المبهرة أو يتعمد ألا يبرزها في حد ذاتها لكي يمنح المتفرج فرصة أكبر للاقتراب من مادة الموضوع.

في ذاكرة السينما

بهيجة حافظ.. من التأليف الموسيقي إلى السينما

ولدت الفنانة بهيجة حافظ في 14 أغسطس في العام 1908 و توفيت في 13 سبتمبر العام 1983 ، حاصلة علي دبلوم التأليف الموسيقي و التلحين من باريس. وتعتبر رائدة من رواد السينما المصرية، حيث ظهرت مع مجموعة من النساء كان لهن دور رئيسيا في تشكيل دور الأنثى علي الشاشة. مارست التمثيل و الإخراج و الإنتاج، ناهيك عن موهبتها الأساسية في التأليف الموسيقي. أول أفلامها كممثلة كان دورها في الفيلم الصامت زينب في عام 1930 أمام الفنان زكي رستم، من إخراج محمد كريم حين مثلت دور الفتاة الريفية الفقيرة التي يطاردها المرض و ترفض الخضوع لنفوذ الرجل و قسوة التقاليد. كونت شركة فنار للإنتاج السينمائي و كان باكورة إنتاجها فيلم الضحايا في عام 1932 و مارست الإخراج حيث قدمت ثلاثة أفلام هي الضحايا و هو النسخة الناطقة عام 1935 و ليلي بنت الصحراء في العام 1937 و فيلم ليلي البدوية عام 1944 وقد شاركت في هذه الأفلام بالتمثيل أيضا والسيناريو والتأليف الموسيقي فهي كانت تتميز بتعدد مواهبها و من أعمالها التمثيلية الإتهام عام 1934 و الزهرة عام 1947 من اخراج حسين فوزي وكمال أبو العلا . احتجبت لسنوات ثم عادت لتؤدي دور الأميرة شويكار في فيلم القاهرة 30 في العام 1966 مع المخرج صلاح أبو سيف وكان ذلك آخر ظهور لها على الشاشة. وقد وضح عليها التميز في التمثيل، ولكنها لم تمثل بعد ذلك و ظلت حتى توفيت العام 1983 و أصبحت نموذجا للمرأة المتحررة في السينما المصرية.